# الموت والخلود في شعر السياب

الأستـــاذ: ميلود قيدوم
قسم اللغة والأدب العربي
جامعة 8 ماي 1945 – قالمة

**ملخَّـــص:**

يبحث المقال في صورة الموت من منظور جدلي بين الموت والحياة هذا الجدل الذي يستدعي مثاقضات الصورة حيث يصير الموت هدفا لإعلان الحياة والانتصار لحقيقة الخلود في ذاتها بدل الانكفاء والهروب يأسا وقنوطا ، تلك هي معضلة السياب في رؤيته وطموحه.

**الكلمـــات المفاتيـــح:**

السياب ــ الموت ــ الحياة ــ الخلود ــ الصمود ــ التحدي ــ الطموح

**RESUME de:**

**La mort et l'éternité dans la poésie d'Al-Sayyab.**

L'article traite de l'image de la mort d'un angle polémique entre la mort et la vie. Cette controverse suscite les contradictions de l'image , où la mort sera un objectif afin d'annoncer la vie et le triomphe de la vérité de l'éternité en soi, au lieu de l'esquisse de désespoir. Ceci et la problématique de l'article dans sa vision et son ambition.

**Mots clefs :**
Mort, vie, éternité, Al-Sayyab, résistance, challenge, ambition.

**Summary of:**
**"the death and eternity" article in Essayab's poetry.**

The article investigates the image of death from a controversial perspective between death and life. This controversy that evokes the image contradictions where death becomes an objective to announce life and support the eternity truth itself instead of escaping desperately. This is Essayeb issue in his vision and ambition.
**Key words**: death, life, eternity, Essayab, resistance, challenge, ambition.

**مـــدخـــل:**

غامر الإنسان صوب الحياة بما امتلك من معارف بحثا عن سرّ الخلود فيها وسعيا لتجاوز فكرة الموت، لأن الموت نسر يقلع جذور النبتة ويطفـــئ الشمعة. وهو في نهاية المطاف فظيع . وإذا كان الموت مـــن وجهـــة نظـــر أخرى هو بداية تحرر الإنسان من قيود الجسد والانتهـــاء حـــرّا مـــن كـــل مستلزمات الحياة، فهو أيضا عنوان الفراغ واليأس والإحباط.

وقد كان الإنسان منذ الأزل يحتال على المعرفة بحثا عن سبيل ينجيه من ركوب مطية الفناء والزوال ليخلص ذاته ويرتقي بها نحو عالم تسكنه الحياة الأبدية التي لا خواء فيها ولا دموع. أين يحب الإنسان الناس كما يحب نفسه، ويحارب أنانيته ويستسلم للطمأنينة الأبدية اللذيذة.

في مسارات الحياة العديدة تجدد وبدايات، ومن هذه البدايات روح الإبداع، قال تعالى: " ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه "[1]. هذه الـــنفس الممتلئة بالحزن وبالفرح، بالأمل وباليـــأس، بـــالخنوع وبـــالثورة، بـــالقبول وبالرفض. بكل ما تحتويه عبارات الدنيا .. هي التي تحتج وترضى، وهـــي التي تهيب بصاحبها كي يكون فخورا بنفسه معتدا بها، سعيدا بما حققه وبمـــا صبا إليه. هي ذاتها النفس التي تحتل من فكره مساحة الرفض والعنت. وبما أنها تأبى وتريد، فإنها تعتبر محركا لما يختلج فيه مـــن مســـببات الوجـــود والبقاء.

**الإنســـان الأديب:**

بحثا عن الاستمرارية في الوجود بعد الموت يســـير الأديـــب ــ المبـــدع بخطى وثابة، يحرص بإبداعه أن يحفر اسمه، حلمه، رؤاه على جدار الحياة الأصم، فينقل لنا همومه التي إن دلت على شيء، فإنما تدل على خوفه منهـــا وهروبه من مواجهاتها لأنها قد تكون سبيلا للموت. هذا الخوف هو "أصـــل القلق الذي يصيب المرء في حياته، وأساس كل الأفكار والتصرفات العدائيـــة المشاكسة لدى البشـــر"[2]. وطبيعي أن يفكر كل إنسان في الموت، في النهاية التي ستكون، والتي ستأتي على حين غرة. لأنه رأى أناسا أحبهم قد رحلوا، ويرى أناسا يستعدون للرحيل. لذا يجد نفسه يبحث عن صيغة تزيل اللـــبس، وتذهب الخوف، وتجلي ستائر استمرت في النزول. وكل هذه الدوافع مردها إلى رفض الموت، وإلى محاولة التمرد عليه، لأنّ "ذلك كان مدعاة لمعرفـــة الحياة، والنظرة إلى الموت هي نظرة إلى الحياة قبل كل شيء"[3]

والمبدع واحد من الناس الذين هم أكثر الناس رهافة وأكثرهم قابليـــة لفـــرز الصورة، لأنهم أكثر الناس تفكيرا في المستقبل، ومن ثمـــة يصـــبح لـــديهم

الخوف من الزوال حاضرا على الدوام، وهم يرفضون الزوال. فهم يرددون مع شوقـــي قوله:

**ذكّر فإن الذّكرى بعد الموت عمر ثان**

إنهم يعلمون بأن الحياة نزوة، أو مجرد نزوة سرعان ما تزول وتنـــدثر. وقد عبّر عن هذا أحد الكتـــاب الأوروبيين في القرن الخامس عشـــر بقوله:" حالما يجيء الإنسان إلى هذه الحياة يصبـــح مسّنا إلى حـــدّ أنـــه يمكـــن أن يمـــوت " .."[4]

وليس الخوف من الموت نابعا من رؤية خارجية بقدر ما هو غريزة عامة ولعل صور الخوف التي تكون أكثر انغراسا لدينا، تلك التـــي عشـــناها فـــي طفولتنا والتي بقينا نمتح منها مختلف التصورات و الميـــولات والرغائـــب، ويظل ذلك ديدننا حتى ننضج أكثر بفعل الزمن حتى إذا مات قريب أو عزيز نجد أنفسنا حينئذ" لنا قابلية على تلقي المصائب وتبرز شخصـــيتنا ودرجـــة وعينا الديني والاجتماعي واتزاننا النفسي"[4].

ولهذا كانت الفكرة أكثر حدّة لدى المبـــدع بحيـــث يســـتوعبها ويتثملهـــا ويستحضرها في مجالات إبداعه، وقد عبّر عن ذلك المهلهل بن ربيعة يـــوم قتل أخوه كليب. كانت الفاجعة أعظم من أن تتقبل، أي لا يمكن تصور موتنا، أو موت عزيز، وإن تصورناها نكون كأحياء متفرجين. ولذلك " فإن مدرسة التحليل النفسي تعتقد وتؤكد أن في قرارة الإنســـان اللاشـــعوري ــ اقتناعـــا بالخلود "[5].

وفي اعتقادنا بأن الإبداع هو الوسيلة الوحيدة التي يطـــل منهـــا الإنســـان المبدع على الحياة ــ الخلود ــ ولعل قول صلاح عبد الصـــبور "لا يقهـــر الموت إلا الحجر والكلمة"[6] كلمة صادقة إلى أبعد الحدود مادام التفكير فيـــه

أبديا. وعليه فإن سبلا شتى هي ملاذ الإنسان لتخليـــد نفســـه منهـــا أبحاثـــه ومنجزاته وبطولاته وفنّه. وهي كلها مسببات للحياة بعد المـــوت ." فـــالخلق والإبداع هي من وسائل الخلود، فكأن الإنسان عند تحدّيه للعدم والفناء ينـــتج ويبدع"[7] وتلك مزية من مزايا البقاء والرفض والدافع لمعانقة الحياة. يقـــول مالرو: " الفن هو أعنف ثورة للإنسان ضد مصيره"[8]. فقد يبقـــى الإنســـان طويلا دون أن ينحني على ترقيع ذاته، ويبدأ بالبحث عن ســـبيل ليخلـــد بـــه نفسه، يقول كيتس الشاعر الإنجليزي الكبير: "كثير من الشعراء لـــم يكتبـــوا أشعارهم، وفي أيام الأزمات وفي المعتقلات، يشعر كثير من الناس برغبـــة ملحة في الإنتاج الفكري والمعنوي". أي أن اللحظـــة الحاســـمة فـــي حيـــاة الإنسان، هي لحظة الخطر التي تسيطر على وعيه وتحثـــه علـــى الإبـــداع والخلق. واعتبارا مما سبق حيث رأى الإنسان الآخر مخلدا في مـــا تـــرك، أحس بضرورة أن يكون له صدى لأن الفن والفكر خالدان، وفي خلودهمـــا خلود الإنسان بعد الموت.

تلك هي السبيل التي انتهجها الشاعر "بدر شاكر الســـياب" فـــي رحلتـــه الشعرية الطويلة مثله مثل قلقامش. كلاهما خائف من الموت. فالأول تكرّست صورة الموت عنده بفقدان أمه، والآخر بفقـــدان صـــديقه "انكيـــدو". وكـــأن الأرض التي أنجبتهما لم تلد سوى الخوف ــ وإن كـــان طبيعـــة ــ وكـــأن الأرض التي أنجبتهما ليست سوى محفز للبحث عن ســـر الخلـــود. يقـــول قلقامش بعد أن بحث عن الخلود ليحتمي من الموت :

" لقد أفزعني الموت حتى همت على وجه ..
إذا مت أفلا يكون مصيري مثل انكيدو؟..
وإلى (أتو نابشتم )

أخذت طريقي وحثثت الخطى
لأسأله عن (لغز) الحياة والموت.[9]

والسياب يتفجر فجيعة حين أدرك أن مصـــيره إلـــى زوال، وأن بغيتـــه منتهية ومراده فان. وهذا ما دعاه إلى تأكيد ذلك بقوله علـــى لســـان "حفـــار القبور" ذلك القصيد الذي يعتبر أحد مزامير الموت والأسئلة المخلدة التي بحّ صوتها من شدة المأساة ولا جواب، يقـــول:"

وعلام تنعب هذه الغربان، والكون الرحيب
باق يدور .. يعج بالأحياء: مرضى جائعين.
بيض الشعور كأعظم الأموات ــ لكن خائفين.
لا يهلكون؟ علام تنعب؟ إن عزرائيل مات.
وغدا أموت، غدا أموت."[10]

ثمة صورة قاتمة لغد ملفوف في سديمية حزينة، كل ما هنالك ألوان مـــن اللوحات الرمادية الفجيعة المليئة بأسئلة تستعجل النهاية.. تلك النهاية التي من ورائها نأنس الرغبة في البقاء، فمن قصيد "دار جدي" نستخلص هذا، فمعالم الحاجة والشعور بالعجز والخور والتذكر، كلها تمثل رغبـــة فـــي التصـــدي للموت والتشبث بالحياة والخلود حيث صورة الماضي تترنح على الدوام فـــي الذاكرة. وكأني به يستحضر صورة المرايا في المجتمعات الغربيـــة المليئـــة بالخرافات. أي إن صورة السياب في الماضي مثل الصـــورة الفوتوغرافيـــة متشابهة تماما "يقال إن روح الميت تستقر في المرايا، ولهذا فإن العادة التـــي ما تزال واضحة حتى هذه الأيام في كثير من البلدان الأوروبيـــة، أن تجلـــى المرايا في بيت المريض حتى لا تبقى الروح باقية هناك. إن صورة الظل أو المرآة كقرين هنا تعمل كحامية من الانقسام والفقدان"[11]. وأعتقد أن قـــرين

السياب هنا هو طفولته وذكرياته. وفي هذا القصيد تتضح معـــالم الارتبـــاط سواء كدفء يعود إليه أو كبقاء واستمرارية في ظل الحياة الجميلـــة الخالـــدة يقـــول السيـــاب:

طفولتي، صباي، أين كل ذلك؟ أين حياة لا يحد من طريقها الطويل سور
كشر عن بوابة .. كأعين الشباك تفـــضي إلى القبور[12]

إنه استرجاع لتلك الديمومة من الحياة الرخية النضرة التي انحبس فيها الأنا بعنفوان وشموخ. واستأسد فيها برؤاه الصافية، حيث تمثل بقاءه وخلوده. وقد تكون العودة إلى الماضي بدافع آخر غير الاستقرار والثبات، بقدر ما هو سعي للوجود في بؤرة الألم بدافع المعاناة، فيكون بـــذلك قـــد كشـــف عـــن عصابيته. يقول عزالدين إسماعيل:" الشخص العصابي يخضع فـــي صـــورة واعية لنظام يقلع فيه عن بعض المتعة أو القوة، أو هو ينزل بنفسه الألم كيما يضمن نوعا آخر من القوة، أو نوعا من المتعة[13] . والشـــاعرفنان، والفـــن ممارسة يقوم بها الإنسان ليتجاوز وضعه كمخلوق، ويتحول إلى خالق. إنـــه إذن أداة ومجال للتحرر أيضا. وكما أن التقنية تجـــاوز للمعطـــى البيلـــوجي المباشر ، فإن الفن تجاوز للمعطى الثقافي المباشر، أو السائد. أن نبدع فنيـــا، هو أن ننفعل خارج الثقافـــة الســـائدة، أي ننفصـــل عـــن غائيـــة الأشـــكال الاجتماعية، الثقافية الرمزية "[14].

والسياب ينقل لنا فنه الذي هو مدار حياته ليرسم لنا طبيعة النفس المرهفة المتطلعة الوثابة الممتلئة بالغنائية الدالة على الرفض، المقبلة على الرغبة. لذا نراه يستعيد الخلود من خلال سرد أساطير الأزمنة الذاهبة، يستدعيها ليؤكـــد ارتباطه بها مثلما أهلها أحياء في الذاكرة، هو أيضا وجه آخر للآتـــي مـــن الزمن. ويتجلى أيضا هذا التوجه في قصيد "أساطير" الذي يقول فيه:

أساطير من حشرجات الزمان
نسيج اليد الباكية،
رواها ظلام من الهاوية
وغنّى بها ميتان.[15]

إنه يدرك معنى الموت ولذا استدعى الماضي ليؤكد رفضه له. هناك فـــي الشعور الدقيق إدراك لماهية الموت، وهذا يعني الخوف منها ورفضها "بكـــل قناعة، وكلما ازداد التفكير بالموت أدركنا اقتران هذا التفكير بميلاد حضارة جديدة " وهنا تظهر علاقة الشخصية بجوانبها وبرانيتها بالكليـــة الأخـــرى، والجزئية ' الذاتية ' من حيث العلاقة مع المحيط الوجودي للإنسان"[16].

وكان واضحا في كل خطوات الشعر التي باح بها لسان الشاعر. فحينما يذكر الموت، يذكر التشبث بالحياة، لأنها موجودة في مسرح الكون ككـــل، يقرأها ويلمسها ويستشعر أبعادها، ومن ثمة يستعيرها، أو ينسج على منوالها وما مغامرة الاسترسال في الكلام عن المرض إلا دليل على وعـــي مـــبطن يريد أن لا يمرّ عليه دون تسجيله، والتسجيل مرحلة من المراحل الدالة على "الأنا" التي أراد لها أن تبقى محفورة هنا وهناك تنيئ عن صاحبها.

في قصيد "رئة تتمزق" يقـــول:

الداء يثلج راحتي ، ويطفئ الغد في خيالي
ويشل أنفاسي .. ويطلقها كأنفاس من الذبال
تهتز في رئتين يرقص فيها شبح الزوال
مشدودتين إلى ظلام القبر .. بالدم والسعال[17]

موت بطيئ ، ورحلة مبطنة داخل نفس تواقة للبقاء . وكأني به يقـــول مـــع الوجوديين إن الموت ليس مجرد "نهاية" للحياة بل بالأحرى قسما أو جزأ من

التفكير الوجودي"[18].، وعليه فمسألة اختياره أو توقه تبقى مسألة شخصـــية بحتة.

والسياب يومئ إلى الموت ليس من باب الاختيار، ولكن من باب أنه متحد مع الألم ضده، من خلال تماهيه بالفن أكثر وبقائه أطول ..

لقد حمل السياب في ثناياه أناه التي تريد أن تكون مخلدة فـــي الفـــن، فهـــو يتحدث عن قدراته كي تعطي معنى لحياته، ومن هنـــا تبقـــى لصـــيقة أبـــدا بالوجود، إنه يريد أن يموت ولكن كما يريد، يقول "نيتشـــة": كثيرون يموتون بعدما يفوت الأوان، ومن الغرابة يمكن أن تكون القاعدة، مت. فـــي الوقـــت المناسب".

**البعث رؤية أخرى من رؤى الخلود عند الشاعر**

الذي يقتفي أثر الشاعر بدر شاكر السياب يلفت انتباهه الرغبة الكبيرة فـــي معرفة الماوراء، إذ تراه يستحضر صورته ويتمثله باستمرار. يدفعه اطلاعه الكبير على الثقافات القديمة المليئة بالفجائع والمخاوف، فكانت ثورته عنيفـــة ثائرة على صمتها فاستباحت الغيب برسم معالم الحياة الأخرى، وفجّرت فيه تاريخا كثيفا يحمل رؤاها وتطلعاتها، إذ نقرأ في أشعاره إحساس جنانها وحلم روحها. تلك هي الغيبيات التي تزخر بها سطور أشعاره، وهي التي تهيب به أن يقول إيمانا منه بأنها الوجهة التي تحقق مبتغاه في العودة والبعث.

لقد كان ميله إلى البعث طريقا للتخلص من الفجائع، وكـــان حـــب البقـــاء والخلود سببا رئيسا لاستفسار الغيب لأن الفناء مسلمة من مسلمات الوجـــود، في الوقت نفسه نرى الاكتمال يكون بعد الموت لا محالة. "وقد أبـــان ذلـــك التفكير كثيرون من الذين شرعوا في الموت وفشلوا في تحقيق ذلك، إذ كانت نيتهم الحقيقية التخلص من 'الأنا الشريرة' والشروع في حياة جديدة"[19].

ومن ميولات هؤلاء الأحياء في حياتهم التي تكدس فيها الخوف والرعب والعجز نجد الرغبة في اللحاق بالميت ، وقد تجلى هذا لدى الكثير من الأفراد الذين " اعترف بعض منهم لاسيما المعتقلون الذين أسرّوا برغبتهم في الموت ندما حين سمعوا بموت أحد أعزائهم"[20]. وكان السياب أحد هـــؤلاء الـــذين عايشوا مرارة الفراغ الذي تركته أمه. فكان يحن إليها حنينا جارفا، وهذا هو الذي جعله يتعلق أكثر بها للبقاء حيا في الدنيا وبعدها، وهو ما يجســـده فـــي حياته من خلال إقباله على الانخراط في الأحزاب السياســـية وغيـــره بغيـــة الدفاع عمن يراهم جديرين بالدفاع، وما يلبث أن يترك ذلـــك لينغـــرس فـــي غيره. وفي كل ذلك نلمح الهمّ الكبير الذي يسيطر عليه لأنه يريـــد أن يبقـــى راسخا في الحياة بالتضحية وبالجهد والنضال. لقد كان يهوم ويبكـــي أيامـــه الذاهبة إلى العدم, ولكي تبقى وجب أن يناضل لأن البعـــث حتمـــا وراءهـــا بالذكر والتخليد. إن الحياة نحو العدم تسير ولكنه عدم يتخلله أمل يظهر مـــن وراء السجف، سجف الشعر. يقول في قصيد "دار جـــدي" مســـتعيدا صـــباه وطفولته التي كما أشرنا تستمر في الثبات وتمده بالمداد كي يكتب إحساســـه وألمه وحلمه:

طفولتي، صباي، أين .. أين كل ذاك
أين حياة لا يجد من طريقها الطويل سور
كشّر عن بوابة كأعين الشباك
تفضي إلى القبور.[21]

في هذا النداء استغاثة بالماضي الذي ألفه وعايش فيه محبته القصوى التي ألهمته إياها أمه، أين رأى السعادة في أسمى معانيها. كانت ســـعادة متعلقـــة بالبراءة ليس لها نهاية، لكن سرعان ما انقلب كل شيئ وتبدل الحلم ليصـــير

فجأة أمام فجيعة القبر التي تزرع في النفس الرعب. في الأبيات تلميح لموت أمه وبموتها مات كل فرح. لكن في الموت أيضا إيماءة إلى الحياة أو قل إلى الخلود، فمجرد الذكر دليل على التشبث بالحياة يقول "فرويـــد": " يمكـــن أن تكون السوداوية 'ردّ فعل إزاء فقد موضوع محبوب.. أو خسارة مـــن نـــوع أكثر مثالية"[22]، فنلمس في هذا المقطع ردة فعل إزاء أمه، وكـــذلك تجـــاوزا للمأساة، بل هناك تعال كبير، حيث تبدو معاناة الشاعر الداخلية تستهلك أناه، فهو يضخم أحزانه ومآسيه، ويزداد إغراقا في همومه، ونلمح تبرّمـــه مـــن الحياة، فكأنما يقول أن هناك من زجّ به فيها وهو لا يرغبها، أو على الأقـــل على هذه الشاكلة. ومع هذا فإنه وجد فيها متنفسا ليكرس به وجها آخر للحياة فانفلتت مشاعره تنزف لترسيخ الخلود.

إضافة إلى ما أشرنا إليه هناك دافع آخر لا يقل قيمة عن غيره، دافع أهّله كي يسلك دربا يرى من خلاله أناه ووجوده .. إنه الدمامة في الخلق ومركب النقص الذي لازمه في حياته.

لا أعتقد أن السياب أو غيره ممن لم تحبهـــم الطبيعة صورة حسنة قـــد تناسوا وضعهـــم أو نسوه، بل إن صورتهم بقيت بمـــا فيهـــا مـــن دمامـــة تلاحقهـــم حتى في أسعد لحظات حياتهم ، إن لم نقل أنها تتعمد الإساءة إليهم وتذكيرهم.

ثم إن هناك دافعا آخر لا يقل قيمة عن غيره من الدوافع، التي أهلته كـــي يسلك دربا يرى من خلاله أناه ووجوده، إنه الدمامة فـــي الخلـــق ومركـــب النقص الذي لازمه جراء ذلك. وعليه فلا يعتقد أن السياب أو أمثاله ممن لـــم ينعم الله عليهم بالجمال قد تناسوا وضعهم أو نسوه. بل إن صورتهم تبقى بما

فيها من دمامة تلاحقهم حتى في أسعد لحيظاتهم، إن لم نقل أنها تتعمد الإساءة إليهم وتذكيرهم حتى لا يبتعدوا عن المأساة.

كانت دمامة السياب تترصد خطاه فراح يكشف عنها تباعا مع تقدمه في العمر، فبعد موت أمه ثم جدته، أدرك المصيبة الكبرى في مراهقتـــه وهـــي دمامة خلقه فنقم على نفسه ولم يتردد في الحديث عنهـــا والمجـــاهرة بهـــا. المجاهرة بمأساته فقال:" منذ صغري وأنا أتفرج على الدنيا، لا أقـــول علـــى المساهمة فيها لأنني خلقت مريضا دون مرض، ضعيف الجسم، هزيل البنية، دميم الوجه، فابتعدت عن الناس بعد أن لمســـت فـــيهم احتقـــارا وســـخرية، وانطويت على نفسي أتأمل الدنيا من بعيد وأصبحت شاعرا" [23]. ولعل هـــذا الأمر جعله وهو يلقي قصائده في حفلة إلقاء عـــام 1957م "يقـــول: "تســـمع بالمعيدي خير من أن تراه"[24]

لا شك أن هذا يوحي بشدة المأساة وكثير الألم الذي يحياه الرجل المرهف المتألم، وكان يريد أن يتخلص من ألمه بالحديث المراوغ عن الفتيات حتـــى يوهم من يقرأ له بأن الرجل زير نساء، إلا أن ذلك مجرد تلويح أو إغراء أو إيهام للهروب من الألم، ولكي يتحرر من عبء الرزية وجب عليـــه اتخـــاذ القرار الذي يؤكد موقفه ومبدأه الثوري فكان الثورة والدعوة إلى الخروج عن الألم والحزن بالشعر والتذكير. وكل هذا يدل على الرفض المطلق للســـكينة والرضوخ والاندفاع نحو القمة بما أوتي من حنكة وذكـــاء. وكـــان للثـــورة الشعرية أثرها الكبير على نفسيته فكان التميز، وكان الاعتداد بالذات المفلسة حسنا وجمالا رغم أن السياب كما يقول عن نفسه:" تحدرت من عائلة تملـــك بساتين للنخيل يشتغل فيها فلاحون يتقاضون الثـــّمن النتائج"[25]. لم يلتفـــت الشاعر إلى كلّ ذلك ورأى أن الطريق للقمة يتطلب جهدا وعملا دائبين . لأن

الخلود سمته التضحية، ورأى أن مواجهة الحياة في هذا الجـــو لا تكـــون إلا بالشعر والصبر والكبت." ثم إن التاريخ حافل بأشخاص كثيرين اســـتطاعوا، على الرغم من دمامة خلقهم، شراء الحبّ والفرح"[26].

لقد ساومه الموت وأخذ منه أعزاءه ورتّب له مأســـاة لـــم يقـــدر علـــى مقارعتها، وجزع أيما جزع كي يتخطاها ويوفق في الخـــروج مـــن ضـــيقه وألمه. وكان الدافع هو البقاء ،يقول فرويد:" إن المرء مقتنع في لا شـــعوره بخلوده الشخصي "[27] وكذلك ترى هذا المرء لا يفكر بـــالموت، أو لا يـــراه سوى معبر إلى عالم الخلود الذي يبتغيه. لقد عاش السياب مرفـــوع الـــرأس كالطود شامخا متخطيا كل ظروف الحياة المأساة . وعبر فـــي كثيـــر مـــن المرّات عن هذا التحدي ، يقول في قصيد "النهر والموت":

واليوم، حين يطبق الظلام
أود لو عدوت أعضد المكافحين
أشد قبضتي ثم أصف القدر
أود لو غرقت في دم إلى القرار،
لأحمل العبء مع البشر
وبعد الحياة . إن موتي انتصار.[28]

هذا الصوت بوح بما في النفس من عزة وإباء وشموخ، هي نفس تواقـــة للخلود رامزة إلى ذات مفعمة بالوجدانية والوجع، فهو يوحي بالانتصار بعـــد الموت.

هذا باختصار صورة الحياة لدى السياب العظيم الذي ســـكن بـــرج الخلـــود بالشعر العظيم الذي يعكس روحه الوثّابة للخروج من بوتقة التردي والضعف والعجز والنهوض بالنفس والعبور بها نحو عالم يبقـــى يـــذكرهم ويتأســـف

لغيابهم ويستحضر أمجادهم وأعمالهم الجليلة التي غيرت أو إن شئنا، غرست فيهم فروعها فانطلقت في سماء الله توزع ظلالها على الأحياء

## الهـــوامش

1- سورة ق الآية16.

2ـ FEIFEL /H/ "DEATH.." IN 3 EXISTENTIAL PSYCHOLOGY3 B4. RANAN HOUSE / NEW YORK .

3- FREIND /S . (1924) MOURNING AND ME LANCH . OLIO /PAGE 188

4- فخري الدباغ: الموت اختيارا – دار الطليعة – بيروت دون تاريخ، ص11.

5- SHNIDMAN/ EDWIN . S. (1966) 3ORIENTATION TOWARDS DEATH" . INERNAT . J.OF PSYCHIAT. 2 . 167/ 200.

6- صلاح عبد الصبور: حتى نقهر الموت ــ دار الطليعة ــ بيروت 1966 ص56

7- فخري الدباغ، م، س، ص14

8- نقلا عن فخري الدباغ ، م، س .

9- باقر طه " مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ــ مطبعة العان ــ بغداد 1951م، وملحمة قلقامش، مطبعة الرابطة ، بغداد 1962م .

10- حفار القبور. المجموعة الكاملة ، دار العودة بيروت 1971م ص546.

11- رث باركن ــ غونيلاس: الأدب والتحليل النفسي . تر: حنا عبود. منشورات وزارة الثقافة ــ الجمهورية العربية السورية ــ دمشق ص 2006 ص 213.

12- دار جدي ــ المجموعة الكاملة ، دار العودة ــ بيروت 1971م ص 123.

13- د، عز الدين إسماعيل: التفسير النفسي للأدب ــ دار العودة ــ دار الثقافة، بيروت، بلا، ص 27

14ــ ميسر أورخان: سريال (ديوان شعر) ــ اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط2 1972م ص8.

15- المجموعة الكاملة، م ، س ، ص 33

16ــ بدوي عبد الرحمان: الموت والعبقرية، مكتبة النهضة المصرة ط2،1992م ص4ــ5

17- المجموعة الكاملة ، م، س ، ص 42

18- بول سارتر : نظرية في الانفعالات ، تر ، الدكتور سامي محمود علي وعبد السلام النقاش ، دار المعارف 1960م ص 35

19- فخري الدباغ م، س / ص 43

20- انظر meerloo / joost.(1962)"suicide and mass suicide"/ new york / grune stratton f/n/c.pp66

21- الديوان ، المجموعة الكاملة ــ ص146

22- سيغموند فرويد: أفكار الأزمنة، الحرب والموت، ترجمة سامي كرم - دار الطليعة- بيروت دون تاريخ. ص 69

23- من حديث للشاعر نقله د، جلال خياط ــ الشعر العراقي الحديث وتطوره ص153 - دار الرائد العربي ــ بيروت

24- م، ن، ص، ن .

25- إحسان عباس، ص21، نقلا ن مجلة الحرية .1441

26- من هؤلاء الثري اليوناني الراحل "أوناسيس".

27- سيقموند فريد .أفكار الأزمنة الحرب والموت. دار الطليعة، بيروت ترجمة سامي كرم دون تاريخ، ط2، 1981م ، ص27

28- الديوان. قصيدة النهر والموت ص456،455.